الاذاعة المحلية من اذاعة المناجم إلى إذاعة الخدمة العامة

أ.فاطمة الزهراء قيطة

جامعة الجزائر 3

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى التعرف على سيرورة وتطور الاذاعات المحلية في العالم واسقاط معالمها على الواقع الاذاعي العربي والجزائري بصفة خاصة، وهذا نظرا لزيادة عددها في كل دول العالم، ولقد ساهمت بعض المنظمات في انشاء عدد منها في بعض الدول الافريقية كمنظمة اليونسكو على سبيل المثال لا الحصر، وبالتالي قامت هذه الأخيرة بالعديد من الدراسات حول الاذاعات المحلية أو المجتمعية كما يطلق عليها.

وهكذا سنقوم بتتبع تطور الاذاعات المحلية من خلال الدراسات التي أوردها الباحثون والتي نشرتها اليونسكو في شكل كتيبات أطلقت عليها *Community Radio Handbook*.

الكلمات المفتاحية: الاذاعة المحلية، اذاعة المناجم، إذاعة الخدمة العامة، الاذاعة المحلية في الجزائر

Summary :

The article aims at setting out the evolution of community radios in the world and their reflection on the Arab world especially Algeria, after their growing up in all countries of the world.

Some organization contributed in their establishment in the African countries _such as the UNESCO_ As a result, this fore-said organization did many studies bout the community radios or Society radios through community Radio Handbook.

Key words: community radios, Miners radio, public service radio, community radios in Algeria.

مقدمة:

شكل موضوع الاذاعة المحلية حقل بحث مهم بالنسبة للدارسين والباحثين سواء على مستوى علم الاجتماع أو علوم الاعلام والاتصال، وهذا نظرا للمهام والأدوار التي تضطلع بها هذه الاذاعات في تقريب المواطن، وتنمية مجتمعه، واعتبرت في كثير من الأحيان خاصة على مستوى الدول العربية – أداة سياسة و استراتيجية دولة– للسير بعجلة التنمية كما توصف، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نلمس العديد من المفارقات خاصة اذا ارتبط الأمر بالدول الغربية، فالاذاعة المحلية فيها لم توجد من أجل الدفع بعجلة التنمية منذ البداية، فلقد ظهرت الاذاعة المحلية معبّرة عن صوت من لا صوت له أي معبرة عن أصوات الفقراء المهمشين *Voice to the voiceless*[1]، أو مدافعة عن عمال المناجم ضد ما عانوه من الاضطهاد، إلى أن تطورت هذه الاذاعات وأصبحت على امتداد كل شارع، و بالقرب من كل فئة، اذن ومن خلال ما سبق يمكننا طرح التساؤل التالي:

أي شكل للاذاعة المحلية؟ وما سيرورتها التاريخية؟

يوجد في العالم أكثر من 20 ألف إذاعة محلية، وأكثر من 2 بليون جهاز راديو لدى الناس*، وبالتالي فان الاذاعة لم تتأثر كثيرا بوسائل الاعلام الأخرى كما هو معروف، ولقد كانت المجتمعات الغربية في الدول المتقدمة أول من طور مصطلح الاعلام المحلي أو المجتمعي، وكان ذلك في فترة السبعينات من القرن الماضي، ولفت ذلك انتباه منظمة (اليونسكو) التابعة للأمم المتحدة، فقامت باجراء عدة دراسات على موضوع الاعلام المحلي الذي يختص بتنمية الأفراد والمجتمعات، وكانت أول دراسة بعض النماذج الغربية للاعلام المحلي[2] *(Some Western Models of Community Media)* أجراها الباحث *Frances Berrigan* عام 1977، كما أجرى نفس الباحث دراسة أخرى تختص بتجربة الاعلام المحلي في الدول النامية بعنوان دور الاعلام المحلي في التنمية *The role of Community Media in Development* والتي نشرت في مجلة[3] *Mass Communication*.

ومن خلال كل هذه الدراسات التي تشير إلى دور الاذاعات المحلية في إحداث التنمية المجتمعية بادرت اليونسكو وأنشأت أول إذاعة في افريقيا (*Homa Bay*) عام 1982، وفي آسيا (*Mahaweli*عام 1986 و *Tambuli*عام 1982.

ومن هنا جاء التأكيد على أن الاذاعات المحلية أداة أساسية في إعطاء الصوت لمن أطلق على تسميتهم ***Voiceless*** أي المهمشة أصواتهم، ومن أجل تفعيل الديمقراطية في تلك المجتمعات لتمكين الجميع من التعبير عن آرائهم[4].

ويتحدث الباحث الألماني (*Jan Pinseler*) عن مصطلح الراديو الحر[5] في دراسته التي عنونها ب ***The Politics of Talk on German Free Radio Station*** عن الراديو الحر الذي يهتم بالجمهور وقضاياه، معتبرا أنه قد أحدث ثورة في العلاقة بين صانع المادة الاذاعية والمستمعين، وأنه ظهر كنتيجة للحراك الاجتماعي الذي استهدف تطوير المجتمعات والأفراد، حيث اعتبر أن الراديو الحر الذي يملكه المجتمع جاء بديلا لاذاعة الخدمة العامة التي تملكها الدولة وتروج لسياساتها ويبين الباحث ***Pinseler*** أن الراديو الحر أسس لظهور الراديو المحلي في ألمانيا مع بداية فترة التسعينات.

ويرى الباحث ***Carlos A.Arnaldo*** أنّ الاذاعة المحلية هي عبارة عن جهد جماعي يقوم به أعضاء مجتمع معين لتصميم برامج إذاعية وإذاعتها عبر الأثير لمناقشة قضاياهم المتعلقة بالتنمية و الديمقراطية، وتعتمد الاذاعة المحلية على القرب من المستمعين على عكس الراديو الرسمي الناطق باسم الحكومات أو الاذاعات التجارية، كما أنّ لاذاعة المحلية تستخدم صيغة الخطاب غير الرسمية لتكون أكثر قربا من الجمهور المستهدف[6].

ويصنف الباحثان ***colin and Sonia*** الاذاعات بشكل عام إلى التصنيفات التالية[7]:

1_إذاعة الخدمة العامة: ***Public- sevice broadcasting***

وهي اذاعات في الغالب تكون تابعة للحكومات، وتُنظم من طرف وحدة مستقلة منصوص عليها قانونيا، وتقدم هذه الاذاعات برامج حول السياسة و الاقتصاد و قضايا المجتمع بشكل عام، لأنها تقدم رسالتها على مستوى الوطن ككل، وتُراقب خططها الاذاعية و البرامج من خلال مجلس أو ترخيص مشكل شرعيا، هؤلاء يؤكدون بأن الاذاعة تؤدي وظائفها (كالتعليم، التسلية، استقلالية الحكومة، و الأحزاب السياسية أو اهتمامات أخرى)، ويكون تمويلها من الرسوم المرخصة و التي يدفعها المشاهدين على أجهزة التلفزيون والاذاعة التي يملكونها في منازلهم.

2_ الاذاعة التجارية أو الخاصة: ***Commercial or Private Broadcasting***

وهي تعتمد على بث مواد ترفيهية وتهدف من ذلك إلى جذب أكبر عدد من المستمعين بهدف الحصول على اعلانات تجارية وتحقيق الربح، وتراقب من طرف الخواص أو من طرف المؤسسات التجارية.

3_ الاذاعة المحلية: ***Community Broadcasting***

وهي إذاعة غير ربحية مملوكة للمجتمع المحلي تعمل على تقديم برامج مخصصة لجمهور محدد ضمن المجتمع الكلي للدولة، وعلى الرغم من أنها قريبة بعض الشيء من إذاعة الخدمة العامة إلا أنّها تختلف باستهدافها جمهورا محددا ضمن مدينة أو ولاية ما وليس الوطن ككل، وبالاضافة إلى ذلك يجب عليها أن تعتمد على المصادر من المجتمع، الذي يكونّه مجموعة من الأفراد تربطهم اهتمامات ومهام مشتركة والتي تتوضح في عنصرين[8]:

- ✓ الاشتراك في الموقع الجغرافي الواحد (قرية، جوار، بلدية..)
- ✓ الاشتراك الاقتصادي في الحياة الاجتماعية من خلال التجارة التسويق وتبادل السلع والبضائع.

مع الأسف هذه التصنيفات المنظمة للاذاعة في ثلاث فئات أقل تنظيما في الواقع فعلى سبيل المثال محطة الاذاعة التجارية تستطيع اذاعة البرامج المحلية، وكذلك الحال بالنسبة للاذاعة التجارية بالمقارنة مع إذاعة الخدمة العامة، أي أن هذه التصنيفات تتقاطع في الواقع.

وهكذا فلقد تعددت تعريفات الاذاعة المحلية وتعددت معها المصطلحات المطلقة في هذا الشأن فنجد المحلية، البديلة، المستقلة، الحرة، فالتعريفات العديدة للاذاعة المحلية والتي شَكّلت بمشاركة العديد من العناصر الجملة البسيطة والمنتشرة الاذاعة بالشعب وللشعب ***Radio by The people and for the people*** والتي اعتبرت مناسبة لأنها تركز على أنّ[9]:

- الاذاعة المحلية يجب أن تُسيّر من طرف المجتمع.
- و لخدمة هذا المجتمع.

It must firstly, be managed by community ; secondly, be to serve that community.

فالاذاعة المحلية تطمح للتعامل مع مستمعيها كمواضيع ومستمعين، فهي تملك وتُراقب من طرف المجتمع، لا للاستفادة المالية وإنّما يجب أن تركز على حق الاستعمال والمشاركة وتعكس الاهتمامات الاجتماعية[10].

سيرورة وتطور الاذاعة المحلية:

ظهرت أولى تجارب الاذاعة المحلية في أمريكا اللاتينية، حيث كان الفقر والظلم الحافز الأساسي لظهورها، فالتجربة الأولى ظهرت في بوليفيا سنة 1947 وعُرفت باذاعات المناجم ***The Miners' Radio*** و أخرى في كولومبيا في نفس السنة وعُرفت باذاعة ***Sutatenza / Accion Cultural Popular*** الثقافية والشعبية[11].

أولا: اذاعة المناجم ***The Miners' Radio***

تجربة البوليفيون بدأت مع خدمات الراديو من خلال صوت عمال المناجم ***Voice of the Miner*** مرتبطة بمن ينقل المعادن من بوتوسي، فلقد كان هناك حوالي 23 محطة راديو في مناطق العمل بالمناجم من مختلف المدن وعرفت ب ***'Radios Miners***، وكانت الغاية من كل هذه المحطات وصف واقع وحالة عمال المناجم و ذكر ظروف عملهم[12] .

فلقد كانت هذه المناجم محكومة ومسيّرة من طرف بعض العائلات المشهورة والغنية مثل ***'tin barons'*** و ***Patinos*** الذي كان معروفا عالميا، ولقد كان عمال المناجم مصدرا لثروتهم وكانوا يستغلون بطريقة غير انسانية وظروف معيشية قاسية (من رداءة الأجر، وكبر سن بعض العاملين)، فلقد كانوا غير مؤمنين من أي ناحية.

وفي سنة 1952 أصبحت المعادن على الصعيد الدولي من خلال التعامل بها دوليا وعلى الرغم من هذا التطور بقي عمال المناجم يعاملون بنفس الطريقة القاسية فللاسف الحقائق التاريخية على محطة عمال المناجم غير كافية بعض الشيء، ولكن يمكننا أن نشير إلى أهم المصادر وهي مذكرة الناس الذين عاشوا ضمن تلك المرحلة الذين أكدوا على أن الاذاعة كانت عنصر مهم في تلك المرحلة فلقد ساعدت في قيادة هذا الكفاح في بوليفيا لعدة سنوات والتي حملت مذابح لعمال المناجم و عائلاتهم.

فلقد ساعدت الاذاعة عمال المناجم ليتحدوا في كفاحهم على الرغم من تحطيمها وارسال فريق عملها للبعثات العسكرية لكي يتخلصوا منهم نهائيا، وبعد انتهاء كل الخلافات و النزاعات جاءت مطالب عمال المناجم القاضية باعادة بناء المحطات الاذاعية التي حطمت، و البدء في العمل بها مجددا.

وهكذا ساهم عمال المناجم في إعطاء اثباتات وبراهين لأهمية هذه المحطات الاذاعية في حياتهم سواء بالدفاع عنهم، أو في دورها الذي يتعلق بالمستوى الثقافي والتربوي من خلال فتح المجال للنقاش حول المواضيع الحساسة آنذاك مثل حق أبناء العمال في التمدرس وغيرها من المواضيع، وكانت لديهم مساهمات جيدة في الايذاع من طرف المجتمع.

تطورت محطات عمال المناجم في النصف الثاني من القرن العشرين 1950 وخاصة ما بين 1963 و1985، لكن سرعان ما آلت المعادن للسقوط في الأسواق، لكي تأتي الحكومة الجديدة عام 1985 آمرة بتغيير موقع عمال المناجم، و هذا ما جعل ما يناهز 20 ألف من عمال المناجم يغادر مهنته، وآخرون غيّروها إلى الفلاحة لكي يبقى قلة قليلة يعملون بها[13].

ثانيا: اذاعة ***Sutatenza / Accion Cultural Popular*** الثقافية والشعبية[14]

أنشأت هذه الاذاعة من طرف الراهب ***Joaquin Salcedo*** عام 1947 في قرية ***Andean*** المسمات ب ***Sutatenza***، وقد كان يهتم بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية للمزارعين الكولمبيين أكثر من القضايا الدينية، ومن خلال مهامه استطاع مساعدة

الطبقة الكادحة على التعلم مدركا بأن الاذاعة تستطيع الوصول حتى إلى المناطق النائية في جبال كولومبيا، ومنه ولدت فكرة إذاعة المدراس ب ***Sutatenz*** والتي أطلق عليها اسم ***'Accion Cultural Popular'*** (***ACPO***) ومن هنا انتشر الاعلام التعليمي في سوتتزا و أصبح يشمل مواضيع متنوعة وواسعة منها الحساب الصحة، الصناعة والزراعة و العائلة والعلاقات الشخصية، الرياضة، الأدوية وتعلم تحمل المسؤولية.

وهكذا فلقد كان المستمعون يصغون إلى هذه المعلومات المبثة في الاذاعات المدرسية (التعليمية) غير الرسمية، مما أدى إلى ظهور تجمعات صغيرة كل مساء تقام بحضور مثقفين وأصحاب الخبرة والعلم حيث كان ل ***200.000*** مزارع حوالي ***20.000*** إذاعة مدرسية(تعليمية). وكانت تقوم هذه الاذاعات بنشر الكتب وفتح المكتبات للأهالي بمعدل كل أسبوع، ومن بين الأسباب الرئيسية التي أكدت دور الاذاعات وزادت من أهميتها هي الرسائل التي تصل من عند الفلاحين حوالي 50,000 رسالة في السنة وهذا يؤكد تكيّف رغبات الفلاحين واحتياجاتهم داخل برامج الاذاعة بالشعب وللشعب.

ثالثا: الاذاعة المحلية في أوربا (الاذاعة الحرة)

شهدت أوربا في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي محاولات لكسر الاحتكار السمعي الذي كانت تفرضه كبريات المحطات التجارية والعمومية من قبل اذاعات ***RTL***[15] وفرانس أنتار وإذاعة مونتي كارلو في فرنسا، فظهرت في هذا البلد وقبله في ايطاليا وانجلترا ظاهرة الاذاعات السرية أو إذاعات القرصنة لقيامها بالبث دون ترخيص قانوني.

كان البعض منها يُبث من عرض البحر أو من بعض الشقق أو الأبراج أو الغابات محاولا إيصال صوت إذاعي مغاير في محتواه ونبرته، وقد انتهت هذه السلطات التي كانت تريد السيطرة عليها وملاحقتها إلى ضرورة فتح المجال أمام هذه الاذاعات الحرة كما يطلق عليها وهذا ما فعله الاشتراكيون في فرنسا عند وصولهم للحكم عام 1981[16].

لقد انتشرت تسمية الاذاعات الحرة والتصقت بكل اذاعة جديدة تريد أن تظهر للوجود، وهذا رغبة في الخروج عن السياسي السائد و الاجتماعي القائم واستحداث نمط إذاعي بديل ومختلف في لغته ومضامينه وأشكاله، والسعي في كل ذلك إلى استهداف فئات من المستمعين سئمت ما هو مهيمن، مع توجه مخصوص نحو الشباب وبث واسع لاسطوانات الفرق الموسيقية الأوربية الشهيرة[17].

ومع مرور الزمن نلمس تراجعا لمثل هذه الاذاعات سواء لاعتبارات مادية أو تقنية وحرفية فاختفى الكثير منها واتحد بعضها الآخر في مجموعات تقاسما للأعباء وتجميعا للقوى في وجه كبريات الشركات الاذاعية من ذوات الحضور الواسع والنفوذ، غير أن هذا لا ينفي وجود البعض منها والذي استطاع تحقيق نجاح باهر من انتقاله من وضع الاذاعة الصغيرة عام 1981إلى محطة وطنية كبرى عام 2000 منها إذاعة الشباب الجديدة ***NRJ***.

ولقد بقي منها خاصة تلك التي ترتبط بجالية أو لغة أو دين، حيث لا تخلو المدن الأوربية الكبرى مثل باريس وضواحيها وليون ومرسيليا من إذاعات ناطقة بالعربية أو البربرية وأخرى منتصرة للثقافة الافريقية و ثالثة موجهة للفرنسيين اليهود أو الناطقين بلغات محلية[18].

أيّ شكل للاذاعة المحلية بالجزائر:

من خلال كل ما قدمناه من سرد لتاريخ الاذاعة المحلية أو المجتمعية أو حتى البديلة أيا كانت التسمية في الدول التي أنشأت بها والتي تداول المفهوم على مستواها ونطاقها، نلاحظ أن التجربة الجزائرية ربطت الاذاعة المحلية بالجوار والجهة[19]، فلقد أنشأت الجزائر 48 اذاعة جوارية أو جهوية وفي كثير من الأحيان يطلق عليها المحلية لكن صبغة المحلي دائما تطرح مشكلا خاصة اذا كان دائما في حالة تبعية لما هو مركزي.

واذا أردنا تصنيف نموذج الاذاعة من خلال الفئات التي أوردناها سابقا نلمس اشكالا فالظاهر أنها اذاعة خدمة عامة، والواقع يقول أنها محليّة بما أنها تختص بالمواضيع المطروحة على حيز جغرافي معين، وهذا التجاذب في تصنيف الاذاعة المحلية الجوارية في

الجزائر يجعلنا ندرجها ضمن ما يسمى بالاذاعة الهجينة* أي أنها عبارة عن كتلة متمازجة بين المحلي الجواري والمركزي، خاصة إذا علمنا أن من بين الأهداف الاذاعية المسطرة هي الدفع بعجلة التنمية على مستوى الجنوب الجزائري.

فدراستنا للاذاعة في الجزائر يطرح تساؤلات حول المحلي بالمقابل مع الوطني خاصة أن الأبحاث الأولى حول الاذاعات المحلية تنفي وجود سيطرة من طرف الحكومة عليها فهي اذاعة بالشعب وللشعب عكس ما هو في الجزائر.

خاتمة:

ظهرت الاذاعة المحلية واستمرت نتيجة لدورها الهادف في الدفاع عن الطبقة الكادحة وفي رفع انشغالات المستمعين وكذا في زيادة المستوى التعليمي مثلما هو الحال في اذاعة سوتتترا، ولقد حملت دوما شعار اذاعة بالشعب وللشعب وتجنبت دوما كل ما هو ربحي، وكانت بعيدة دوما عن السيطرة من طرف الحكومات أي أن مالكها هو المجتمع وتسهر من أجل خدمته.

هذا قديما أما الآن فاننا نلاحظ تعددا وتمازجا في أدوار الاذاعات المحلية لدرجة أنك لا تستطيع التفرقة، فلقد أصبحت الاذاعات التجارية على سبيل المثال تغطي المحلي، كما وجدنا اذاعة الخدمة العامة تمتزج أيضا مع المحلي، والخطير في كل هذا أن تضمحل الاذاعة المحلية المجتمعية التي تهدف الى خدمة وتنمية المجتمع ليكون مكانها اذاعات هجينة تعالج المحلي لكن في علاقته بالوطني أو المركزي كما هو الحال في الجزائر.

قائمة المراجع والهوامش:

---

[1] Dantharaj Apatil ; **AVoice for the Voiceless (the role of community Radio in the Development of the rural poor,** international journal of rural studies (IJRS); 2010, p1.

*هذه الاحصائيات طبقا لما قدمته اليونسكو عام 2001

[2] Colin Fraser and Sonia Restrepo Estrada **; community radio handbook** ; UNESCO, 2001, piii

[3] Ibid., p.iii

[4] Dhanraj a patil, OP. cit., p. 2

[5] عبلة محمد رويس، **تجربة الاذاعات المجتمعية الأردنية في تنمية المجتمع المحلي، دراسة حالة نادي مستمعي راديو البلد** ، جامعة الشرق الأوسط، الأردن: 2010، ص27.

[6] Colin Fraser and authers, Op. cit., p. 1

[7] Ibid., p. 3

[8] Louie Tabing, **How to do community radio**, UNESCO, 2002,p. 11

[9] Colin and authers , Op. cit., p 6

[10] Ibid., p. 07

[11] Ibid., p. 12

[12] Ibid., p., 12

[13] Ibid., p. 12

[14] Ibid., p. 13

[15] زهير بن حمد، **الاذاعة ورهانات المحلية**، مجلة الاذاعات العربية، 2012، ص70.

[16] المرجع نفسه، ص71.

[17] المرجع نفسه، ص71.

[18] زهير بن حمد، مرجع سابق، ص 72.

[19] بن عيسى محمد المهدي، من أجل **سوسيولوجيا لمجتمع الاتصال، الاذاعة المحلية في الجزائر ذات أو موضوع**، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد العاشر، مارس، 2013، ص2.

* هذا المصطلح أردفته الباحثة للاشارة الى التمازج بين اذاعة الخدمة العامة والاذاعة المحلية في الجزائر وتشير الباحثة في هذا الاطار إلى أن الاذاعات المحلية أو المحطات الاذاعية كما يطلق عليها الباحث زعموم المهدي تعاني من تزاوج الخدمة فلا هي محلية بالمعنى الذي لاحظناه في تطور المحلي، ولا هي اذاعة لخدمة عامة تامة المعاني، و تظل تتراوح بين هذه وتلك إلى حين حصول الاستفاقة على مستوى التطبيق أولا.